﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨﴾ [النور: 17 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

إرساء قاعدة مثلى في إغلاق باب الافتتان

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللّه تَعالَى ما في خَبَرِ الإفْكِ مِنْ تَبِعاتٍ لَحِقَ بِسَبَبِها - لِلَّذِينِ جاؤوا به، والَّذينَ تَقَبَّلوهُ - عَديدُ التَّوْبيخِ والتَّهْديدِ، وافْتِضاحٌ لِلَّذينِ رَوَّجوهُ، وخَيْبَةٌ مُخْتَلَقَةٌ بِنَقيضِ قَصْدِهِم، وانْتِفاعٌ لِلْمُؤْمِنينَ بذلك؛ أَعْقَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِتَحْذيرِ المُؤْمِنينَ من العَوْدِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ المُجازَفَةِ في التَّلَقّي، ومِنَ الانْدِفاعِ وراءَ كُلِّ ساعٍ دونَ تثبُّتٍ في مواطئ الأَقْدامِ، ودونَ تَبَصُّرٍ في عَواقِبِ الإِقْدامِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَعِظُكُمُ﴾: العِظَةُ: الموعظة، وعَظْتُ الرَّجلَ أَعِظُهُ عِظَةً وموعظة، واتَّعَظَ: تقبَّل العِظَةَ، وهو تذكيرُك إيّاه الخيرَ ونحوَه ممّا يرقُّ له قلبُهُ، والوعظُ عند الرّاغب الأصفهاني: زجرٌ مقترنٌ بتخويف[2]، ومعنى: ﴿يَعِظُكُمُ﴾: ينصحكم، ويُرقِّق قلوبكم[3]، والمعنى المحوريُّ لمادَّة (وعظ): كلامٌ أو عملٌ يُنَبَّه به الإنسانُ إلى عواقب ما يفعله، أو ما هو مُقْدِم عليه ليتوقَّفَ عنه، كما هو واضحٌ في معنى الوعظ، والوعظُ: الإذكار بالخير بما يرقُّ له القلب، وكلُّ ما جاء في القرآن من التَّركيب؛ فهو بمعنى هذا الإذكار والتَّنبيه[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تحذيرُ المؤمنين من العودةِ إلى مثلِ هذا الإفكِ الذي يهدمُ المجتمعَ

يُذكِّركم اللّهُ، ويحذِّركم من أَن تعودوا طول حياتكم لمثل هذا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 18/ 181 - 182.
(2) الرّاغب، المُفردات: (وعظ).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 5/ 245، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 99.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وعظ).

الإفك في عائشة، أَو سائر أَزواجه ﷺ؛ لسوءِ عاقبته وعظيم عقوبته، وإن كنتم مؤمنين باللّه؛ فامتثلوا تحذيره، واعملوا بنصيحته؛ لتأمنوا عذابَهُ وسوءَ حسابه، ويُفهم من الآية الكريمة أنَّ مَنْ سبَّ عائشةَ بعد هذا التَّحذير لا يكون من المؤمنين، فاللّه ينزِّلُ عليكم آياتِهِ مبيَّنةً واضحة الدَّلالة على الأحكام الشَّرعيَّة، والأخلاق الكريمة والآداب الجديرة بخير أُمَّةٍ، أُخرجت للنّاس، واللّه مُحيطٌ علمُهُ بأحوال مخلوقاتِهِ، وما ينبغي لهم من شرائعَ، حكيمٌ في جميع أفعاله وأحكامه، فالتزموا ما بيَّنه لكم من شرائعه وآدابه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ التَّعبيرِ بـ: ﴿يَعِظُكُمُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

سبحانَ المتُفضِّلِ على العاصين الرحيمِ بهم

إنَّ لفظةَ ﴿يَعِظُكُمُ﴾ هي الأليقُ في هذا المقام من الألفاظ المقاربةِ كالنُّصح ونحوه؛ لأنَّها ناظرةٌ إلى فضلِ اللّه ورحمته، فهي ألطفُ وأخفُّ مِن غيرها ممّا في أُسرتها، وقد جاءت بنيتُها على بناء الفعل المضارع للدَّلالة على تجدُّد هذا الزَّجر الإلهيِّ، كلَّما دعت الحاجة إليه، وللدَّلالة أيضًا على استحضار صورة هذا الوعظِ أمام القارئِ بعد أن تقدَّم بيانُ خطر هذا الإفك، وللدَّلالة على ضرورة أن يُجدِّدَ الواحدُ من العُصبة خصوصًا ومِن غيرِهم عمومًا المعانيَ التي نزلت في شأن الإفك على نفسه وقلبه وعقله؛ حتى يتشبَّعَ بها، فيطرد مِن نفسه ما يوقِعُه في المهالك.

بلاغةُ الإيجازِ بالحذف في قوله: ﴿يَعِظُكُمُ﴾:

مِثْلُ وعظِه ﷺ يُستَجابُ لهُ

يقولُ ابن عاشور: "وفِعْلُ (يَعِظُ) لا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعولٍ ثانٍ بِنَفْسِهِ، فالمَصْدَرُ المَأْخوذُ مِنْ ﴿أَن تَعُودُواْ﴾، لا يَكونُ مَعْمولًا لِفِعْلِ ﴿يَعِظُكُمُ﴾ إلّا بِتَقْديرِ شَيْءٍ مَحْذوفٍ، أَوْ بِتَضْمينِ فِعْلِ الوَعْظِ مَعْنَى فِعْلٍ مُتَعَدٍّ،

(1) مجموعة من المؤلّفين، التّفسير الوسيط: 6/ 1381 - 1380.

أَوْ بِتَقْدِيرِ حَرْفِ جَرٍّ مَحْذوفٍ، فالتَّقْديرُ: يُحَذِّرُكُم مِنَ العَوْدِ لِمِثْلِه، أَوْ يُقَدَّرُ: يَعِظُكُمُ اللّه في العَوْدِ لِمِثْلِه، أَوْ يُقَدَّرُ حَرْفُ نَفْيٍ، أَيْ: أَلّا تَعودوا لِمِثْلِه، وحَذْفُ حَرْفِ النَّفْيِ كَثيرٌ؛ إذا دَلَّ عليه السِّياقُ، وعلى كُلِّ الوُجوهِ يَكونُ في الكَلامِ إيجازٌ"[1]، وقيل: لا تضمين في معنى ﴿يَعِظُكُمُ﴾، وأنَّ وما بعدها مفعولٌ لأجله على حذف مضافٍ، أي: كراهةَ أن تعودوا"[2].

وعلى القول بتقديرِ شيءٍ محذوفٍ يكون في حذفه تنبيهٌ لطيفٌ على أنَّ نُصحَهُ ووعظه ﷺ بالآيات التي أنزلها في تلك الحادثة مِن شأنه أن يترتَّبَ عليه بسهولة وسرعة وقوة عدمُ العود لمثله أبدًا؛ لما نزل من قوة الحُجَّة، وكمال الإقناع، وتمام ظهور المُراد.

معنى اللّام في ﴿لِمِثْلِهِۦٓ﴾:

اللّام هنا للتَّعدية، ويمكن أن تكون للتَّخصيص على معنى: أن تعودوا لمثل حديثِ الإفك على وجه الخصوص، والضَّمير في ﴿لِمِثْلِهِۦٓ﴾ عائدٌ على الإفك.

علَّةُ النَّهي عن العود لمثله دون عينه:

التعبير بالأسلوب الكنائيّ أبلغُ وأزجرُ في النَّهي

نهتِ الآيةُ الكريمةُ المؤمنين أن يعودوا لمثل حديث الإفك دون النَّهي عن العود إلى الإفك نفسِه؛ لأنَّ هذا الأسلوبَ الكنائيَّ أبلغُ وأزجر في النَّهي؛ لأنَّه نهيٌ عن الشَّيء مع إقامة دليل عليه؛ احتفالًا به، واعتناءً بشأنه، فهو نهيٌ ضمنيٌّ عن العودة للإفك نفسه، وقد يكون المقصودُ أن تكون العظةُ في أن يعودوا لما يشبهُ هذا الإفكَ، ولو بوجهٍ مِن الوجوه، لا ما يُماثله هذه المماثلة التّامَّة؛ إذ لا توجد مثلُ هذه المماثلة بين الإفك وبين أمرٍ آخر؛ كنايةً عن عِظَم هذا الإفك، بحيث كأنَّه لا نظيرَ له أبدًا.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/ 182.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 581.

نكتةُ التَّأكيدِ بالظَّرف ﴿أَبَدًا﴾:

في قوله تعالى: ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أفاد دخولُ ظرفِ التَّأبيد ﴿أَبَدًا﴾ المبالغةَ في توكيد وعظهم وزجرهم من أن يعودوا لمثل هذا الحديثِ أبدَ الدَّهر؛ نظرًا لخطورتهِ وشدَّة تأثيره في تمزيق أواصر المجتمع المسلم.

المبالغةُ في توكيدِ وعظِهم وزجرِهم من العودةِ لمثلِ هذا الحديثِ أبدًا

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملة الشَّرطيَّة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ جملةٌ شرطيَّةٌ؛ لتأكيد الإلزام وتشديد التَّهويل، وجواب الشَّرط محذوفٌ لدلالة ما قبله عليه، أي: إنْ كُنْتُم مُؤْمِنينَ؛ فلا تعودوا لمثله، وقيل: إنَّ المذكورَ قبلُ جوابٌ لهذا الشَّرط بناء على جواز تقديمه، وهو رأي الكوفيّين وبعض العلماء[1]، وعلى كلا التَّقديرَيْن فإنَّ المُرادَ من هذه الجملة الشَّرطيَّةِ هو التَّلهيب والتَّحفيز لهم حتّى لا يعودوا لمثله أبدًا.

زيادةُ الإيمانِ ونقصانه هي القضيةُ العظمى

نكتةُ عطفِ قوله: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ عاطفةٌ، عطفَتْ بيانَ الآياتِ على قوله: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾، وهي من عطف الزَّواجرِ والتَّحذيراتِ على بعضِها في آيات الإفكِ، ثمَّ معنى هذه الجملة مِمَّا يلزم معنى الجملة التي قبلَها، وهو مِمَّا يتأسَّسُ عليه الوعظُ المذكورُ، فبينهما كمالُ اتِّصال من نوع التَّوكيد المعنويِّ الخفيِّ، فكان الظَّاهرُ غيابَ العاطفِ الواوِ، ولكنَّ سياق الامتنانِ بفضل اللّه ورحمته هو الذي استدعاها، فإنَّ المُمتنَّ به جليلٌ، فناسبه الواوُ المُشعِرة باستقلال ما بعدها؛ لما فيها من معنى المغايَرَة الذي لا يبرحُها.

لا أجلَّ مِنَّةً من فضل الله ورحمته

دلالةُ التَّعبير بـ﴿وَيُبَيِّنُ﴾ مادَّةً وصيغةً:

البَيانُ: الكشفُ عن الشَّيء، وهو أعمُّ من النُّطق؛ لأنَّ النُّطقَ مُختصٌّ بالإنسان، ويُسمَّى ما بيَّن به بيانًا، قال بعضهم: البيانُ إمّا

كلامُهُ جَلَّ شأنُه هو الأعلى في بابِ الإبانةِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 1/ 324 - 325.

بالتَّسخير، وهو الأشياء التي تدلُّ على حالٍ من الأحوال من آثار الصَّنعةِ، وإمّا بالاختبار؛ وذلك يكون نطقًا، أو كتابة، أو إشارة، وسُمّي الكلام بيانًا؛ لكشفه عن المعنى المقصود إظهارُهُ[1].

في إيثارِ التَّبيينِ إشارةٌ إلى كمال الظُّهور

لم يَقُل ﷻ: (ويظهر)؛ وإنَّما قال: ﴿وَيُبَيِّنُ﴾؛ للدَّلالة على كمال ظهوره، وذلك الألصقُ بكلامه سبحانه، والتَّعبيرُ ببناء الفعل المضارع للدَّلالة على تجدُّد هذا البيان الإلهيِّ؛ كلّما دعت الحاجةُ إليه، وللدَّلالة أيضًا على استحضار صورةِ هذا البيان أمام القارئ بعد أن تقدَّم بيانُ خطر هذا الإفك، وفي المضارع إشارةٌ إلى تصريف القول فيه.

نكتةُ إظهارِ لفظ الجلالة:

تفخيمُ شأنِ البيان، وتحريك نفوس المُتلقّين للاستجابة لربِّهم

في قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ إظهارٌ للفظ الجلالة في موضع إضمارِهِ لتقدُّم ذِكره هو لتفخيم شأن البيان[2]، ولبيان استحقاقِ كلٍّ من العظةِ والبيان أن تكونَ كلُّ واحدةٍ منهما جملةً مستقلَّةً؛ نظرًا لما فيها من عِبَرٍ وعظاتٍ، وفيه أنَّ هذا البيانَ والتَّبيينَ فيه سيما جلالِ اللّه تعالى وجماله، فمِن شأنه أن يُحرِّك نفوسَ المُتلقّين للاستجابة والتَّنفيذ لمُرادات اللّه ﷻ.

معنى اللّامِ في ﴿لَكُمُ﴾:

جاءتْ لامُ ﴿لَكُمُ﴾ في قوله: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ﴾ للتَّعدية، فضلًا عن إفادتها التَّعليل؛ أيْ: لأجلكم، ويمكن أن تكونَ أيضًا للتَّخصيص على معنى أنَّ هذا البيانَ لكم دون غيرِكم للعناية بهم.

نكتةُ تقديمِ شبه الجملةِ ﴿لَكُمُ﴾:

العنايةُ بالمخاطَبين، وتعظيم الامتنان عليهم

في قوله سبحانه: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ﴾ أفادَ تقديمُ شبهِ الجملة هنا العنايةَ والرِّعايةَ بالمخاطَبين، فهذه الأحكامُ ما شُرِعت إلّا لأجلكم

(1) الراغب، المفردات: (بين).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 318.

ابتداءً، ففيها صلاحُ حياتكم وانتظامها، كما أنَّ تقديمَ ذكرهم أبلغُ في إفادة عظيم الامتنان عليهم.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡأٓيَٰتِۚ﴾:

يمكن أن يكونَ تعريفُ لفظ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ﴾ للعهدِ على معنى الآياتِ الَّتي تقدَّمتِ الإشارةُ إليها في الآية الأولى من السّورة الكريمةِ، ويمكن أن تكونَ للاستغراق على معنى أنَّ الله تعالى يُبيِّن لهم سائرَ الآيات الكونيَّةِ النّاطقة والدّالَّة على وجوده ﷻ.

قد تكونُ هنا للعهديَّة أو الاستغراق

معنى الواو في ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

الأظهرُ أن تكونَ الواو في قول المولى ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ للحال على معنى: أنَّه يعظكم أن تعودوا لمثله، والحال أنَّه مُتَّصفٌ بالعِلْم والحِكْمَة.

غرضُ الإظهارِ في موضع الإضمار: ﴿وَٱللَّهُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إظهارٌ للفظِ الجلالة، وكان يمكن أن يأتيَ في غير القرآنِ: (وهو عليمٌ حكيمٌ)، يقول الآلوسيُّ: "وإظهارُ الاسم الجليلِ هاهنا لتأكيد استقلالِ الاعتراض التَّذييلي، والإشعارِ بعلّيَّة الألوهيَّةِ للعلم والحكمة"[1].

تأكيدُ استقلالِ الاعتراضِ التَّذييليّ، والإشعارُ بعلّيّة الألوهيَّةِ للعلمِ والحكمةِ

نكتةُ التَّذييلِ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

ناسبَ التَّذييلُ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ علمَهُ ﷻ بما يُصلح شأن عباده، وعلمَهُ بما يلمز به المنافقون في شأن الإفك، وما يتناجى به ضعافُ الإيمان فيما بينهم، وأمّا صفةُ الحكمة؛ فهي الأليقُ بما قرَّرتهُ الآياتُ من وسائلَ وقائيَّةٍ وعلاجيَّة من أجل مكافحة انتشار الأخبار الكاذبة، لاسيَّما المُتعلِّقة بالأعراض.

مِن شأنِ الأحداث أن تَزيدَ في المعرفة بالله

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 318.

نكتةُ الترتيبِ في ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

تتقدَّمُ صفة العلم على صفة الحكمةِ في أغلب مواضعِ اقترانِهما في القرآن الكريم؛ لأنَّ العلمَ يسبق الحكمةَ، ويتقدَّم عليها، والحكمة لا تكون إلّا وفقَ علمِ الله الأزليِّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الموعظة والنَّصيحة:

هدفهُما إصلاحُ النّاسِ، وتختصُّ النَّصيحةُ بالأمورِ العظيمةِ من الدَّعوةِ إلى الله والإيمانِ به

الوَعْظُ هو زَجْرٌ مُقترنٌ بتخويفٍ[1]، ويبدو من استعمالات القرآنِ الكريم أنَّ الوعظَ يأتي في سياق الحديث عن المتَّقين وغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾ [البقرة: 66]، وفي سياق الحديثِ عن المنافقين: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النِّساء: 63].

أمّا النُّصْحُ؛ فهو تَحَرّي فِعْلٍ أو قَوْلٍ فيه صلاحُ صاحبه[2]، ويأتي في القرآن في سياق نصح الأنبياء لأقوامِهم الكافرين، كما جاء على لسان نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ [هود: 34]، وعلى هذا فيبدو من الاستعمال القرآنيِّ، لكلتا الكلمتَيْن أنَّهما تلتقيان في الهدف منهما في إصلاحِ النّاس، وتختصُّ النَّصيحةُ بكونها تتعلَّق بالأمور العظيمةِ من الدَّعوة إلى الله والإيمان به ونبذ الشِّرك به.

(1) الرّاغب، المُفردات: (وعظ).
(2) الرّاغب، المُفردات: (نصح).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»